# تفسير القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

## (سورة نوح) عليه السلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فرغلي البلبيني - المدرس بكلية الشريعة

( بيان مكان نزولها وآياتها )

هي سورة مكية بالاتفاق ، وآياتها ثمان وعشرون آية على المشهور .

( بيان وجه اتصالها بما قبلها )

وجه الاتصال : أن الله سبحانه وتعالى لما قال في سورة المعارج : «على أن نبدل خيراً منهم» عقبه تعالى بقصة قوم نوح عليه السلام المشتملة على إغراقهم عن آخرهم بحيث لم يبق منهم في الأرض ديار ، وبدل خيراً منهم ، فوقعت هذه السورة موقع الاستدلال لما ذكر في سابقتها .

بسم الله الرحمن الرحيم : قال الله تعالى : « إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم » .

( بيان مايتعلق بالآية من الأبحاث )

« أرسلنا » بعثنا . تقول أرسلت فلاناً إلى فلان إذا بعثته إليه .

و( الرسول ) هو النبي المأمور بالتبليغ . و ( نوح ) هو اسم أعجمي منون ، أي مصروف ، لعدم زيادته على ثلاثة أحرف مع سكون وسطه ، ومعناه بالسريانية الساكن . وسيدنا نوح هو ابن لمك ، بفتح اللام وسكون الميم ، ابن متو شلخ ، بفتح الميم ، وضم التاء المشددة، وفتح الشين واللام . ابن ادريس

قال ابن عباس : كان بينه وبين آدم عشرة قرون .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قيل : وبعثه الله لأربعين سنة ، فلبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الإيمان ، وعاش بعد الطوفان مدة اختلف فيها . فقيل : عاش ستين عاما ، وقيل : مائتى عام ، وقيل أربعمائة . وهو أطول الأنبياء عمراً ، ومع ذلك روى أن ملك الموت لما جاء ليقبض روحه قال له : كيف وجدت الدنيا ؟ قال : وجدتها كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر

وجاء فى الحديث : « أول نبى أرسل نوح عليه الصلاة والسلام » ، والمراد منه : أول نبى أرسل بالنهى عن عبادة غير الله ، لأن عبادة غير الله إنما حدثت فى زمن نوح ، وإلا فمن المعلوم أن قبله آدم وشيث وإدريس .

ويقال لنوح عليه السلام : شيخ المرسلين ، وآدم الثانى ومن أوصافه أنه كان دقيق الوجه ، طويل الرأس غليظ العضدين ، كثير لحم الفخذين طويلا جسيما .

واختلف فى مكان قبره . فقيل : كان فى مكان مسجد الكوفة ، وقيل : كان بجبل لبنان ؛ أما مكان بعثته وإرساله ، ومسكنه وإقامته ، فكان فى مكان أرض الكوفة على المشهور اهـ آلوسى .

« أن أنذر قومك »

« أن » تفسيرية بمعنى أى . والتقدير : إنا أرسلنا نوحا ، أى أنذر قومك . أو مصدرية قبلها حرف محذوف والتقدير : أرسلناه بالإنذار .

والإنذار ، هو الإخبار بما فيه تخويف ، والمنذر به محذوف والتقدير : أنذر قومك عاقبة كفرهم وبغيهم ، وعصيانهم وعنادهم ، وعتوهم وضلالهم .

« من قبل أن يأتيهم عذاب أليم » .

أى من قبل أن يحل بهم إن لم يستجيبوا للدعوة ويذعنوا ، عذاب مؤلم : فى الدنيا بالإغراق ، أو فى الآخرة بالإحراق .

والمراد : أنذرهم من قبل حلول هذا العذاب ، حتى تذهب حجتهم ، وتنقطع أعذارهم .

هذا . وفى إسناد الفعل إلى ضمير العظمة مع تأكيد الجملة بكلمة ( إن ) إعتناء بأمر إرسال نوح عليه السلام ، واهتمام بشأن بعثه ، وما ذاك إلا لأنه الرسول الذى طهر جميع الأرض من شراذم الكفرة ، وأقام على أنقاضهم أمة بريئة من لوثة الشرك ، سليمة من أدواء الكفر ، وأطلع بينها نوراً من التوحيد قوى الإشعاع ساطع الضياء .

و( المعنى )

إننا بعثنا نوحاً إلى قومه ، ليخوفهم عذاب الله ، حتى يكفوا عما هم عليه من الضلال ، قبل أن يحل بهم إن داموا على كفرهم عذاب مؤلم .

ونقول : قد جرت سنة الله مع من خالفه وأعرض عن معرفته ، وهجر المحاسن وأوغل فى المساوىء ، ألا يؤاخذه بجريرة أفعاله ، حتى يقيم عليه الحجة ، ويقطع عنه المعذرة ، بإنزال الكتب وإرسال الرسل ، كما قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فسبحانه من إله حكيم ، خوف وحذر ، وأنذر فأعذر ، ونصب الدلائل لمن نظر إليها بعقل سليم .

« قال ياقوم إنى لكم نذير مبين »

هذه جملة مستأنفة استئنافا بيانياً واقعة فى جواب سؤال نشأ عن سابقتها كأنه قيل : فماذا فعل نوح عليه السلام بعد ذلك الإرسال ؟ . فأجيب بها .

« ياقوم » نداء للقريب والبعيد ، والفطن واللبيب منهم .

« نذير » منذر بين الإنذار ؛ موضح لحقيقة أمر الدين والعبادة ، مظهر لطريق السعادة والشقاوة .

ثم قال تعالى :

« أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون » :

« أن اعبدوا » متعلق بكلمة نذير من حيث المعنى ، و« أن » : إما تفسيرية ، وإما مصدرية ؛ والتقدير : إنى لكم نذير ؛ أى اعبدوا . أو بأن اعبدوا .

ثم إن الله تعالى أمر القوم فى هذه الآية بثلاثة أشياء ؛ بعبادة الله ،

وتقواه ، وطاعة نفسه .

فالعبادة هى أقصى غاية الخضوع والتذلل ؛ ولا تكون إلا لله تعالى ـ والأمر بها يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب وأفعال الجوارح .

والتقوى هى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ـ والأمر بها يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات

وطاعة الرسول هى التسليم له . والأمر بها يتناول قبول قوله . وامتثال أمره ونهيه . والإذعان لكل ماجاء به من عند ربه .

ثم إن الله تعالى لما كلفهم بهذه الأشياء الثلاثة وعدهم عليها بشيئين ؛

أولهما ؛ أن يزيل عنهم مضار الآخرة ؛ وهو المأخوذ من قوله تعالى ؛ « يغفر لكم من ذنوبكم » .

وثانيهما ؛ أن يزيل عنهم مضار الدنيا . وذلك بأن يؤخر أجلهم بقدر الإمكان . وهو المأخوذ من قوله تعالى ؛ « ويؤخركم إلى أجل مسمى » .

وسنبين معنى قوله تعالى :

« يغفر لكم من ذنوبكم ، ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون » .

( بيان مايتعلق بالآية )

« يغفر » فعل مجزوم فى جواب الأوامر الثلاثة المتقدمة . و« الذنوب» هى الآثام .

ومغفرة الذنوب عبارة عن عدم المؤاخذة بها ؛ : إما بسترها عن أعين الملائكة مع بقائها فى الصحف ، وإما بمحوها من صحف الملائكة .

واختلف فى بيان كلمة «من» فى قوله تعالى : « من ذنوبكم » . فقيل : للتبعيض ، وتقدير المعنى عليه: يغفر لكم بالإسلام بعض ذنوبكم التى هى حقوق الله ؛ أما حقوق العباد فإنها لا تغفر بالإســـلام .

وقيل : زائدة ؛ وتقدير المعنى عليه يغفر لكم بالإسلام كل ذنوبكم السابقة على الإسلام ، سواء أكانت من حقوق الله أم من حقوق العباد . واستدلو

بظاهر ماورد من أن الإسلام يجب ماقبله

والتحقيق أن جميع الذنوب تغفر بالإسلام من حيث المؤاخذة الأخروية أما من حيث المؤاخذة فى الدنيا فلا تغفر بل يطالب الكافر بالحدود ، كحد القذف ؛ وبالمال الذى أخذه ظلماً أثناء كفره . اهـ جمل .

« ويؤخركم إلى أجل مسمى »

« الأجل المسمى » هو الأمد الذى قدره الله إذا آمنوا وأطاعوا ؛ وراء ماقدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والمعاصى .

فيكون لهم أجلان : أجل طويل معلق على الإيمان ؛ وأجل أقل منه لايجاوزونه إذا لم يؤمنوا .

وبناء عليه يكون معنى الجملة : يؤخركم إذا أمنتم وأطعتم إلى أجل طويل قدره لكم أطول من الأجل الذى كان لكم لو بقيتم على الكفر .

وقوله تعالى : « إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر » : تعليل للأمر بالعبادة المتبعة للمغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى

و ( المعنى )

ياقوم إن الله تعالى أرسلنى لأخوفكم عقابه ؛ وأنذركم عذابه ؛ وأبين لكم مناهج الرشد من مناهج الغى ؛ بأن أقول لكم : اعبدوا الله واخضعوا له ؛ واتقوه فيما أمر به ونهى عنه ؛ وأطيعون فيما أخبركم به من عند ربى ، فإن فعلتم ذلك يغفر لكم من ذنوبكم ؛ فيمحوها أو يسترها ؛ ويؤخركم إلى عمر طويل قدره لكم جزاء إيمانكم وطاعتكم .

وإنما أمركم بالعبادة التى يترتب عليها طول الأجل ؛ لأن أجل الله الذى قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر والمعاصى إذا جاء وأنتم عاكفون على غوايتكم لايؤخر ولا يغير ؛ فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه كيلا تفوتكم فرصة التأخير إلى العمر الطويل المبين .

ومعنى قوله : « لو كنتم تعلمون » لو كنتم من أهل العلم لعلمتم ذلك ؛ أى عدم التأخير إلى الأجل المسمى إذا جاء الوقت وأنتم فى ضلالكم وعتوكم .

« قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ، فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا »

( بيان وجه الربط )

وجه الربط أن الله تعالى حكى عن نوح أنه بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود ، وجاوز في الانذار كل حد معهود . وضاقت عليه الحيل ، شكا إلى ربه عز وجل ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدة الطويلة .

( بيان المعنى )

« رب » أي يارب . فهو منادى حذف منه حرف النداء . والرب له معان ثلاثه : السيد المطاع ، والمالك ، والمصلح للشيء . وكلها تصلح في هذا الوضع . فكأن نوحا عليه السلام قال ياسيدي ومالكي ومصلح أمري إني دعوت قومي الخ .

« دعوت قومي » صحت بهم محذراً ومنذراً . يقال : دعاه يدعوه إذا صاح به ليبلغه أمراً أو نهيا .

والمراد بالدعاء هنا التبليغ . فمعنى « دعوت قومي ليلا ونهارا » بلغتهم ما أمرتني به دائما من غير قصور ولا توان .

« فرارا » هروبا . وقوله : « إلا فرارا » استثناء مفرغ ، والمستثنى منه مقدر ، والتقدير : فلم يزدهم دعائي شيئا من أحوالهم التي كانوا عليها إلا بعداً عن الايمان واعراضاً عن الطاعة .

( المعنى )

قال نوح مناجياً ربه عز وجل بقصد الشكوى ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في ذلك الزمان الطويل بعد ما بذل في الدعوة غاية جهده ونهاية موته : يارب إني بلغت قومي ماأمرتني به دائما من غير قشور وحذرتهم وأنذرتهم من غير توان ، وأرشدتهم وخوفتهم دون تراخ فلم يزدهم ذلك كله إلا بعدا عن الحق

واعراضاً عن الطاعة وامعانا فى الغواية وصدوفا عن الهداية .

ثم قال الله تعالى حاكيا عنه :

« وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا »

( بيان ما يتعلق بالآية )

« دعوتهم » أى للإيمان « لتغفر لهم » أى بسبب الإيمان . « جعلوا أصابعهم فى آذانهم » أى سدوا آذانهم عن سماع الدعوة . فوضع الأصابع فى الآذان كناية عن ذلك . ويجوز أن يكون وضعاً حقيقياً .

وفى نسبة الجعل إلى الأصابع كلها مع أن المجعول أناملها فقط مالا يخفى من المجاز الذى عبر فيه بالكل وأريد الجزء .

والتعبير بقوله « جعلوا » دون أدخلوا ؛ يفيد المبالغة الشديدة فى الاعراض عن سماع الدعوة ، لأن الجعل يشعر بسد الأذن سداً محكما بحيث لا ينفذ اليها شىء من الأصوات بخلاف الادخال فانه لا يفيد ذلك .

« واستغشوا ثيابهم » أى غطوا رؤوسهم بها ، كراهة النظر اليه من فرط كراهة الدعوة .

وفى التعبير بصيغة الاستفعال ، وهى « استغشوا » مبالغة فى الستر لما يفيده من الاحاطة والشمول . وكذا فى تعميم آلة الابصار وغيرها من البدن بالستر . مع أن ستر البدن كان كافياً . مبالغة فى إظهار الكراهة والاعراض لا تخفى .

و « أصروا » أى لازموا الكفر والمعاصى وانهمكوا فيهما « واستكبروا استكبارا » أى تكبروا عن اتباعى وطاعتى بدون وجه حق تكبرا عظيما بالغاً النهاية القصوى .

و ( المعنى )

يقول سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام مناجياً ربه ، شاكياً اليه تمرد قومه : إنى كلما دعوتهم إلى الايمان والامتثال والطاعة والانقياد ، لأجل أن تغفر لهم وترحمهم أعرضوا عن

السماع وغطوا رؤوسهم بثيابهم امعانا في الجحود ولازموا بذلك ما هم عليه من الاعراض والعصيان ، وتكبروا عن اتباعي تكبرا عظيما بالغاً النهاية القصوى .

« ثم إني دعوتهم جهارا ، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا »

( بيان وجه الربط )

وجه الربط أن الآية السابقة بين فيها تعميم الدعوة في جميع الأوقات . وبين هنا تعميم وجوه الدعوة وطرقها من الاسرار ثم الجهار ، ثم الاسرار والجهار .

( بيان ما يتعلق بالآيتين )

قوله تعالى « ثم إني دعوتهم جهارا » يشعر بمسبوقية الجهر والسر وهو الأليق بمن يريد الارشاد ويهتم بتأليف القلوب نحوه لما فيه من اللطف بالمدعو وكلمة ثم دالة على تباعد الاحوال وتفاوتها وأن الجهار أغلظ من الاسرار . والجمع بينهما أغلظ من الافراد .

فهاتان الآيتان تدلان على أن مراتب الدعوة كانت ثلاثة : فبدأ بالمناصحة في السر ثم ثنى بالمجاهرة فلم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرار .

ونصبت كلمة « جهارا » اما على المصدرية بفعل من المعنى لأن الدعاء يكون جهارا واسرارا . فهو من باب قعد القرفصاء وكأنه قال : جاهرت جهارا

واما على أنها نصبت لمصدر محذوف والتقدير : دعوتهم دعاء جهارا

واما أن يكون مصدرا في موضع الحال أي دعوتهم حال كوني مجاهراً

( المعنى )

اني دعوتهم مرة بعد مرة وكرة بعد كرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة فلم أرمنهم غير امعان في الجحود واصرار على العناد

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » .

( بيان ما يتعلق بالآيات )

« استغفروا ربكم » أطلبوا منه أن يغفر ذنوبكم « يرسل السماء » ينزل المطر ، فالمراد بالسماء هنا المطر كما فى قول الشاعر

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضابا

« مدرارا » كثير الدرور ، أى السيلان وهو حال من السماء

« ويجعل لكم جنات » يعطكم بساتين فى الدنيا

و ( المعنى )

قلت : اطلبوا من ربكم أن يمحوا ذنوبكم أعيانها وآثارها وذلك بالتوبة عن الكفر والمعاصى ، إن ربكم دائم المغفرة كثيرها للتائبين

قال المفسرون : وكان قوم نوح تعالوا وتعاظموا وقالوا : إن كنا على الحق فكيف نتركه ؟ وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا بعد ماعكفنا عليه دهراً طويلا ؟ فأمرهم بما يمحق ماسلف منهم من المعاصى ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم على الاستغفار بأمور هى أحب اليهم وأوقع فى قلوبهم من الأمور الأخروية ، وهى ماتضمنه قوله تعالى « يرسل السماء » الخ .

وأجيبهم لذلك لما جبلوا عليه من محبة الأمور الدنيوية لكونها عاجلة . « والنفس مولعة بحب العاجل »

ومعنى « يرسل السماء » الخ ينزل المطر عليكم حال كونه كثير الدرور والسيلان ، وينعم عليكم بأنواع من المال وكثير من البنين ليكون ذلك لكم زينة ومتعة فى الحياة الدنيا تقر به أعينكم وتبتهج به نفوسكم ، كما قال تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ويجعل لكم فى هذه الحياة بساتين فيها الأشجار المورقة والثمار اليانعة ، والنخيل الباسقة والزهور الباسمة .

ويجعل لكم أنهارا على تلك البساتين تدوم بها وتبقى وتثمر وتورق .

( الكلام على البلاغة )

هذا . وإنما كرر لفظ الفعل فى قوله

ويجعل لكم جناب ويجعل لكم أنهارا» ولم يكرره في قوله « ويمددكم بأموال وبنين » للاعتناء بأمر الجنات ، لما أن للانهارا مدخلا في السعادة في وجود الجنات وفي بقائها .

ولما كان لها مدخل في بقائها الذي هو أهم من أصل وجودها مع قوة هذه الدخلية أخرت عن الجنات .

وإنما ترك إعادة العامل مع البنين لأن الأصل عدم الاعادة ، وماجاء على الأصل لا يسأل عن علته . أو لأنه لما كان المال لا يكمل الانعام به بدون الانعام بالبنين . وكذلك العكس كانا كالشيء الواحد . وتأخير البنين للاشارة إلى أن الأموال تصل اليهم في آخر الأمر مما يسر المتمول اهـ

وإنما قال « إنه كان غفارا » ولم يقل :«إنه غفار ، لأن المراد إنه غفار أبداً هكذا كان وليس هو غفارا الآن فحسب .

( بيان فضل الاستغفار )

وقد جاء في فضل الاستغفار آثار كثيرة :

منها قوله ﷺ « من أكثر من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا » :

ومنها قول القشيري« من رفعت له حاجة إلى الله لم يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار »

ومنها ماروى عن الربيع بن صبيح أن رجلا أتى الحسن وشكا اليه الجدب فقال له « استغفر الله » وأتاه آخر فشكا اليه الفقر فقال له « استغفر الله» وأتاه آخر فقال له : أدع الله سبحانه أن يرزقني إبناً فقال له « استغفر الله» وأتاه آخر فشكا اليه جفاف بساتينه فقال له « استغفر الله »

فقلنا أتاك رجال يشكون اليك ألواناً ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار . فقال : ما قلت من نفسي شيئاً إنما اعتبرت قول الله عز وجل حكاية عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه « استغفروا ربكم إنه كان غفارا » الخ .

ثم قال الله تعالى :

« ما لكم لا ترجون لله وقاراً ، وقد خلقكم أطواراً »

( بيان ما يتعلق بالآية )

«ما » اسم استفهام مبتدا . «لكم» متعلق بمحذوف خبر . والتقدير : أى سبب حاصل لكم ، ـ وهذا الاستفهام جىء به لإنكار أن يكون للقوم سبب مافى عدم اعتقادهم لله وقاراً ، أى عظمته.

والمراد بالرجاء المأخوذ من « ترجون » الاعتقاد .

فمعنى « ترجون » تعتقدون ، وجملة « لا ترجون » إلخ حال ضمير المخاطبين ، والعامل فيها متعلق « لكم و « لله » متعلق بمضمر وقع حالا من « وقاراً » و ( الوقار ) هنا بمعنى العظمة » .

و ( المعنى )

أى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتعظيمه جل شأنه بالإيمان والطاعة له ، والخضوع لأمره ونهيه .

( رأى آخر فى تفسير الآية )

وقيل : ( الرجاء ) بمعنى الأمل ، فمعنى « ترجون » تأملون . و ( الوقار ) بمعنى التوقير . و « وقارا » مفعول به لترجون ، واللام فى « لله » بمعنى (من) والجار والمجرور متعلق بترجون .

و ( المعنى )

أى سبب حصل لكم حال كونكم لا تأملون من الله توقيراً لكم وتعظيما بأن تؤمنوا به وتطيعوه ، وتخضعوا له وتوحدوه ، فتصيروا موقرين عنده ومعظمين لديه فى يوم لاينفع فيه غير الإيمان الخالص ، واليقين الكامل ، والطاعة البريئة من شائبة العصيان .

( بيان الترجيح )

رجح الألوسى الرأى الأول ، لأن قدمه ، وقال عن الثانى : إنه متكلف بعيد عن الظاهر بمراحل ، لأنه يرد عليه أن جعل الوقار بمعنى التوقير تعسف ؛ بخلاف جعله بمعنى العظمة ، ولأن عدم رجاء الكثرة لتعظيم الله

إياهم فى دار الثواب ليس فى حيز الاستبعاد والإنكار . بخلاف الرأى الأول، فإن الإنكار متوجه للسبب ، لا المضمون الجملة الحالية اه

وقد خلقكم أطواراً »

و ( المعنى )

ما لكم لا تعتقدون لله عظمته ؟.. والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية، وهو أنكم تعلمون أنه عز وجل خلقكم مدرجا لكم فى حالات: عناصر أولا ، ثم أغذية ، ثم أخلاطا ، ثم نطفاً، ثم علقاً ، ثم مضغاً ، ثم عظاما ، ثم خلقاً آخر . فإن التقصير فى توقير من هذه شؤونه فى القدرة الظاهرة . والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل .

ثم قال الله تعالى :

«ألم تر كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا » .

( بيان وجه الروابط )

وجه الربط أن الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر الدليل من الأنفس على وحدانيته . فقال : « وقد خلقكم أطوارا » ذكر هنا دليلا آخر على وحدانيته من الآفاق والكواكب :

وإنما بدأ بدليل الأنفس ، ولأن نفس الأشياء إليه ، فهى أول ما يسترشد به — إن كان صحيح النظر — على وحدانية بارئه ، وقدرته وعظمته . فبدأ الله بذكر الأقرب .

( بيان المباحث )

«تروا» تعلموا «طباقا» متطابقة بعضها فوق بعض من غير حماسة ، وقد تقدم الكلام على السموات فى سورة الملك .

« وجعل القمر فيهن نوراً » أى جعله منوراً فى السموات السبع ونسبته إلى الكل مع أنه فى السماء الدنيا ، لما أنها محاطة بسائر السموات ، فما فيها يكون فى الكل ، وإما لأن كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنه سماء واحدة ، ومن ضرورة

ذلك أن يكون مافى كل واحدة منها كانه فى الكل .

« وجعل الشمس سراجا » أى جعل الشمس فى السموات السبع كالسراج . أى المصباح المضىء ، لأنها تزيل ظلمة الليل كما يزيلها السراج مما حوله .

و ( المعنى )

ألم تعلموا وتفكروا فى كيفية خلق السموات الطباق ، وفيما فيهن من القمر المنير ، والشمس المضيئة ، فتستدلوا بتلك الآثار العظيمة على توحيد البارى وتفرده ، فتخصوه بالايمان وتفردوه بالوحدانية ، وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأوثان ، والاذعان لها من دون الله .

ثم قال تعالى :

والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا .

( بيان وجه الربط )

وجه الربط أن الله تعالى بعد أن ذكر الدليل على التوحيد من الأنفس والآفاق ، رجع إلى ذكر دليل ثالث عن الأنفس ، وإنما رجع إلى ذكر الدليل منها مرة أخرى ، لأن فيه بيان مبدأ خلق الأنفس من التراب ثم بيان نهايتها اليه ، ثم بيان تكوينها منه مرة ثانية يوم البعث .

( بيان المباحث )

« أنبتكم من الأرض » أنشأكم وأوجدكم منها ، فعبر بالانبات عن الانشاء والايجاد ، لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض لكونه محسوساً وقد تكرر إحساسه .

وكلمة « من » فى قوله : « من الأرض » ابتدائية ، أى أنبتكم نباتاً مبتدأ من الأرض ، فهى داخلة على المبدأ البعيد ، و « نباتا » منصوب إما على أنه إسم مصدر مؤكد لأنبتكم أو منصوب باضمار فعل ، أى أنبتكم فنبتم باتا « يعيدكم فيها » يرجعكم إلى الأرض مقبورين بعد موتكم .

و ( المعنى )

والله أنشأكم بحسب المبدأ الأول

إنشاء مبتدأ من الأرض ، لأنه جل وعلا أوجد من الأرض النبات ، ومن النبات تكونت الأغذية ، ومن الأغذية تكونت النطف التي هي المبدأ القريب للانسان ، ثم يعيدكم مقبورين في الأرض بعد موتكم ، فتحلل أجزاؤكم إلى العناصر الأولى التي ابتدئت منها ، ثم بعد ذلك يخرجكم من الأرض عند البعث والحشر إخراجا محققاً لا ريب فيه .

ولا شك أن صاحب هذه القدرة هو الإله الواحد الذي ليس له مثيل ولا شريك .

ثم قال الله تعالى :

« والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا » .

( بيان وجه الربط )

وجه الربط أن هاتين الآيتين تضمنتا دليلا رابعاً على وحدانيته تعالى ، من بديع خلق الأرض وما فيها من شتى المنافع ، وأنواع الفوائد التي لو تدبر الانسان فيها لأقر بوحدانية الله إقراراً لا يشوبه شك ، ولا يداخله زيف .

( بيان المباحث )

« بساطا » مبسوطة ممهدة ، وليس في قوله « جعل لكم الأرض بساطا » دلالة على أن الأرض مبسوطة غير كروية ، لأن الكرة العظيمة يرى كل من عليها ما يليه مسطحاً .

« سبلا فجاجا » طرقا واسعة . واحدها فج .

و ( المعنى )

والله جل وعلا أحاطكم بنعمه الوارفة ، ومنته الشاملة ، التي تدل على مدى كرمه وجوده وإحسانه وفضله ، ومن ذلك أن مهد لكم الأرض وجعل لكم فيها طرقا واسعة تسلكونها في غدوكم ورواحكم ، لنيل الرزق وطلب العيش والجهاد لإعلاء الدين ، وقمع الكافرين والذياد عن الوطن والشرف والحرية والكرامة .

أفمن كان له هذه الآثار المتجلية في خلق الانسان والسموات والكواكب

فى الشمس والقمر ، والبعث والنشور والأرض وما فيها من ثمرات وفوائد يجوز لعاقل أن يتخذ معه شريكا ، أو يجعل له شبيها ، أو يرى له مثيلا ؟ اللهم إنا نعوذ بك من الختم على القلوب والغشاوة على الأبصار ، والضلال فى العقول والأفكار .

ألا رحم الله اللقانى إذ يقول فى جوهرته :

فانظر إلى نفسك ثم انتقل
للعالم العلوى ثم السفلى
تجديه صنعاً بديع الحكم
لكن به قام دليل العدم

ثم قال الله تعالى حكاية عن نوح:

« قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ، ومكروا مكراً كبارا ، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » .

( بيان وجه الربط )

وجه الربط أن نوحاً عليه السلام لما دعاهم إلى الله تعالى ، ونبههم على هذه الدلائل الظاهرة على وحدانية الله تعالى حكى عنهم بعد ذلك أنواع قبائحهم وأقوالهم وأفعالهم ؟

البقية فى العدد المقبل
ان شاء الله تعالى

## نادرة لطيفة

ورد أن سيدنا يوسف عليه السلام حين خرج من السجن كتب على بابه: هذا قبر الأحياء وشماتة الأعداء، ومجربة الأصدقاء . ثم دعا لهم فقال : اللهم عطف عليهم الأخيار ولا تمنع عنهم الأخبار .

« * »

قال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنى لاتتكلم بغير تفكير ، ولا فعل من غير تدبير . فى العجلة الندامة ، وفى التأنى السلامة . من لانت كلمته وجبت محبته لاتكن ليناً فتعصر ، ولا يابساً فتكسر .